البعث الإسلامي

2 - Damas - Intérieur de la Mosquée des Omayades

المجلد السابع

رجب ١٣٨٢هـ — العدد الرابع — ديسمبر ١٩٦٢م

REGD NO A 1692 THE ALBAASULISLAMI
LUCKNOW

صورة الغلاف

أحد المبانى الجميلة

فى

بلاد المغرب

البعث الاسلامي

مجلة إسلامية أدبية شهرية

تصدر فى الهند

رئيس التحرير محمد الحسنى

مدير التحرير سعيد الأعظمى

الادارة و التحرير : ندوة العلماء لكهنؤ ، الهند ،

الاشتراك السنوى | فى الهند وباكستان ٥ - روبيات
فى الخارج ، بالبريد العادى ٧ - روبيات أو ما يعادلها
فى الخارج، بالبريد الجوى ٢٠ - روبية ، ، ،

عنوان المجلة | دارالعلوم ندوة العلماء لكهنؤ ، الهند

ترسل الاشتراكات فى باكستان إلى العنوان التالى

دفتر ، فاران ،كيمبل اسٹريٹ كراچى ١

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة

البعث الاسلامي

شهرية اسلامية ادبية

المجلد السابع

رجب ١٣٨٢ھ العدد الرابع ديسمبر ١٩٦٢ م

ليتهم يفهمون

العالم العربى — هذه الايام — فى دور خطير أصح ما يقال عنه أنه دور تحطيم ، و دور هدم و بناء ، أو دور تبلبل فكرى وفوضى عقلية لا مجرد فوضى سياسية كما يعتقد كثير من الناس ، بل إن هذه الفوضى السياسية ليست إلا ثمرة طبيعية من ثمار تلك الفوضى العقلية ، و الفكر القلق الشارد الذى لم يستقر على « خط » حتى الآن ،

العالم العربى — فى هذ الوقت — يتسم بعدة سمات بارزة متميزة

١ - إنه مقبل — بوضوح و فى اصرار — على قبول تيارات جديدة فى الاجتماع و السياسة و الاقتصاد ، و لوكان ذلك على حساب بعض مقوماته الفكرية و معتقداته الدينيـة

٢ - إنه حريص على الظهور بشخصيته المستقلة القوية بين شعوب العالم و هو مستعد لكل تضحية لهـذا الغرض .

٣ - إنه حائر بين شعوبه المؤمنة البريئة التى تستميت من أجل الدين ، و تستحلى فى سبيله كل نوع من العذاب ، و كل لون من الاضطهاد ، و تتمنى أن ترى راية الاسلام مرفرفة عالية فى أرجاء العالم العربى كله ، و يرى كل ما عدا ذلك نوعا من الجاهلية القديمـة ، ظهر فى زى عصرى جديد ، و بين الطبقة المثقفة الذكـية ، و هى الطبقة الحاكمة السائدة ، تعارض ذلك الاتجاه ، و تسميه « رجعية » و تحاربه بلاهوادة .

أما مجال هذه الحرب الطاحنـة فهو بيت كل مسلم عربى ، و أما هدف هذا الهجوم الأكبر فهو « الشباب » الذين سيتولون زمام الحكم غداً فى هذه البلاد .

إن هذ الصراع الفكرى أو الشرود الفكرى له جذور عميقة فى الماضى و الحاضر ، و هو نتيجة إهمال للظروف المتقلبة ، و الأوضاع المتطورة التى كانت تنذر بهذا الصراع الهائل الطويل منـذ زمن بعيد فحينما كان ذلك الاتجاه — الاتجاه القومى المادى — يجد من ورائه كل تشجيع و تأييد ، و كان من ورائه شخصيات قوية ، و عقول خصبة ، تحسن عرض هذا الاتجاه و الدعاية لها بنجاح على مسرح السياسة العربية ،

كانت الشعوب العربيـة المؤمنة الصالحة لا تجد غذاء قويا دسماً من أى مكان ، و لا تجد معونة و تشجيعاً — من الملوك و الحكام الذين كانوا ينـادون بالاسلام — يقوى فيها الاتجاه المضاد ، و تعد رايتها العام ، و وعيها الاسلامى لمقاومـة الاتجاه الأول أما الشباب (و هم مركز أعصاب البلاد) فكانوا أسوأ حالا من الجماهير فقد ظلوا فريسة سهلة لهذا الاتجاه القومى العنيف ، و درسوا من الكتب و المواد ما يقوى فيهم ذلك الاتجاه المادى الذى يريد أن ينهض بالأمة العربيـة على أساس غير أساس الاسلام ، و يقطع صلته بالتراث الاسلامى ، و رسالته العامة الخالدة ، و عاشوا فى بئية فكرية لاتصلح — مطلقاً — لغير هذا الاتجاه هذه من ناحية ، و من ناحيـة أخرى إنهم لم يحفلوا كثيراً بهـذه التطورات السياسيـة و الاجتماعيـة التى وقعت فى بعض البلاد العربيـة وردد صداها العالم العربى كله ، و لم يقوموا بأى تغير أساسى فى مناهج التعليم بوجه خاص ، و مناهج الحياة كلها بوجه عام ، و لم يفهموا نفسية الشباب و نفسية العصر الحديث ، و لم يفطنوا إلى مواضع الضعف فى جبهتهم حتى استغلها العدو للنيل منهم ، و التسلل إلى حوزتهم ، و الهجوم على معاقلهم ، إنهم لم يدركوا تاثير كلمة « التقدم الصناعى » « و القوة الحربية » « و التنظيم العلمى » فى أعصاب الشباب و لم يحسبوا لها أى حساب .

فكانت النتيجـة أن هولاء الشباب نشأوا فكريا على التذمر بما فى بلادهم من فقر فى هذا المجال الحيوى ، و الحياة فى اطار خاص محدود منهم من الوصول إلى مكانة محترمة ممتازة فى الكتلة العربية و المجال الدولى ، و الاصرار على نمط خاص من التفكير ، و محاربة

التفكير القومى ، المادى ، من غير وعى كامل بأضراره و خطره على الأمة العربية الاسلامية .

إن الولاة و الأمراء و الملوك فى البلاد العربية وقفوا فجأة ، و من غير استعداد سابق أمام موقف محرج دقيق ، يطالب حزما غير عادى ، و جرأة نادرة ، و اتزاناً كاملا ، و وعياً عاما ، إن هـذا الموقف يطلب منهم أن يفتحوا عيونهم للواقع الشاخص الحى ، الواقع القاسى المؤلم الذى يترقب ردفعلهم ، و يترقب كلمتهم الحاسمة فى هذا الوقت التاريخى العصيب .

إنه موقف عصبى محرج من غير شك ، و الحل الوحيد لهذه المشكلة هو اعادة تنظيم البلاد ثقافياً و فكريا قبل كل شئ ، و تربية الشباب على معان جديدة ، و مقومات جديدة لاتمت إلى القومية العربية المتطرفة ، و الاشتراكية العربية المادية بصلة ، و الاهتمام بالتقدم الصناعى و القوة الحربية ، و التنظيم العلمى على أحدث الأساليب العملية و بروح الاسلام الكبيرة ، و نظره البعيد ، و ايمانه القوى العميق ، و الرجوع إلى حياة التقشف أو البساطة فى المعيشة ، و تقديم غذاء فكرى و روحى جديد لجيلنا الناهض يملأ فراغه ، و يهدئ أواره ، و هو ليس عمل يوم واحد ، أو شهر واحد ، أو سنة واحدة ، إنها عملية انتقال من تفكير إلى تفكير ، و من دعوة إلى دعوة ، و من اتجاه إلى اتجاه ، من اتجاه قومى ، مادى ، اشتراكى ، إلى اتجاه اسلامى واع صحيح ، و هو يقتضى - طبعاً - رصيداً وافراً من الايمان والصبر و الاحتمال والثبات ، واثارة هذا الشعور و الوعى فى الشباب بسرعة و حزم و تصميم ، فليتم يفهمون قبل أن تفوت الفرصة .

محمد الحسنى

الحضارة الغربية كما يراها اقبال(١)

للاستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

قد بدأ الشباب الاسلامى الذكى فى فجر القرن العشرين يتوسعون فى الدراسات الغربية و يتعمقون فيها ، فى الجامعات الهندية الراقية ، و قد زالت عنهم دهشة الفتح و هيبة الانجليز ، و بدأت بعثات ثقافية ترحل إلى أوربا ، و يقيم عدد كبير منهم فى عواصمها إقامة طويلة ، ينهلون من مناهلها الثقافية ، و يدرسون العلوم العصرية بدقة و إتقان تحت إشراف أساتذه كبار أحرار ، و يعرفون الحضارة الغربية عن كثب ، لا عن كتب ، بل يخوضون فيها و يسبرون غورها ، و يعجمون عددها كانئ شباب غربى مثقف من أبناء البلد و يدرسون الفلسفات و النظم و المدارس الفكرية ، و يطلعون على دخائلها و أسرارها ، و على الطبيعة الغربية المادية ، و النخوة القومية الأوربية ، و الأثرة الشعبية فى نفوس هـذه الشعوب ، و يرون جوانب الضعف و بوادر الافلاس ، و طلائع الانهيار فى المجتمع الغربى ، و يلاحظون العناصر

١ - قطعة من كتاب « العالم الاسلامى تجاه الحضارة الغربية » للاستاذ الكبير السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و الكتاب يظهر قريبا بعون الله

المفقودة الصالحة البناءة ، المسعدة للبشرية فى تركيب هذه الحضارة و فى طبعية زعمائها و حملة لوائها ، و عناصر الفساد الهدامة المدمرة للدنية ، المضللة للبشرية الموجودة فى عجينها المركبة مع طينها من اليوم الأول ، فيثير كل ذلك فى نفوسهم و عقولهم معانى و أحاسيس لم تكن ممكنة إلا مع الاقامة الطويلة فى أوربا و التعمق فى فلسفاتها و أفكارها و الدراسة المقارنة ، و إلا مع النظر العميق الجرئ ، و التحرر من ربقة التقليد ، و إلا مع الايمان الذى لم يتجردوا عنه ، بل بقى جمرة فى رماد ، مستعدة للالتهاب فى كل وقت ، فيرجع كثير منهم يائساً من مستقبل الحضارة الغربية ثائراً عليها ، ناقداً نقداً جريئاً عميقاً متزناً ، لاتطرف فيه ، و لاإنكار للواقع ، و لامكابرة فى الحقائق .

لقد كان فى مقدمة هولاء الناقدين الثائرين محمد اقبال الذى يعتبر بحق أنبغ عقل أنتجته الثقافة الجديدة التى ظلت تشتغل وتنتج فى العالم الاسلامى من قرن كامل . و أعمق مفكر أوجده الشرق فى عصرنا الحاضر ، و لم نرمن نوابغ الشرق و أذكيائه — على كثرة من أم الغرب منهم و درس هناك — أحداً نظر فى الحضارة الغربية هذا النظر العميق و انتقدها هذا الانتقاد الجرئ .

إن محمد اقبال قد لاحظ جوانب الضعف الأساسية فى هذه الحضارة وتركيبها و الفساد الذى عجنت به طينتها لاتجاهها المادى و ثورة أصحابها على الديانات و القيم الخلقية و الروحية عند نهضتها و علل فساد القلب و الفكر الذى أتسمت به هذه الحضارة بكون روح هذه المدنية ملوثة غير عفيفة ، (١) و قد جردها تلوث الروح عن الضمير

١ - ضرب كليم ص ٦٩

الطاهر ، و الفكر السامى و الذوق السليم ، و تسلط عليها — رغم المدنية الباذخة ، و الحكومات الواسعة ، و التجارة الرابحة — القلق الدائم ، لقد أظلم الجو فى عواصمها بدخان المصانع المتصاعد الكثيف ، و لكن بيئتها — على كثرة أنوارها — غير متهيأة لفتح جديد فى الفكر و إشراق من عالم الغيب ، إنها حضارة شابة — بحداثة سنها والحيوية الكامنة فيها — و لكنها محتضرة تعانى سكرات الموت و إن لم تمت حتف أنفها فستنتحر و تقتل نفسها بخنجرها ، و لاغرابة فى ذلك فان كل وكر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار ، و لايستغرب أن يرث تراثها الدينى و يدير كنائسها اليهود ، (١) إن أساس هذه الحضارة ضعيف منهار ، و جدرانها من زجاج لاتحتمل صدمة (٢)، إن نورها باهر و شعلة حياتها ملتهبة وهاجة ، ولكن لم يكن فى ربوعها من يمثل دور موسى فيتلقى الالهام و يتشرف بالكلام ، و لا من يمثل دور إبراهيم فيحطم الأصنام و يحول النار إلى برد و سلام ، (٣) إن عقلها الجرئ يغير على ثروة الحب و ينمو على حساب العاطفة (٤) إن عماليقها و ثوارها قد طغى عليهم التقليد فلايخرجون — حتى فى ابتكارهم و ثورتهم — عن الطريق المرسوم و الدائرة المحدودة .

لقد تضخم العلم و تقدمت الصناعة فى أوربا ، ولكنها بحر الظلمات ليست فيه عين الحياة ، إن أبنية مصارفها تفوق أبنية الكنائس فى جمال البناء و حسن المظهر و النظافة ، إن تجارتها قمار يربح فيه واحد و

١ - ضرب كليم ص ١٤١ يشير إلى نفوذهم الزائد ، وثقة أوربا النصرانية بهم (٢) بال جبرئيل
٣ - پيام مشرق ص ٢٤٨ يعنى إن أوربا لم تكن أرض النبوة و الانبياء من الزمن القديم ولم يكن فيها اشراق روحانى إنما ازدهرت فيها الماديات (٤) ايضاً

يخسر فيه ملايين ، إن هذا العلم و الحكمة و السياسية و الحكومة التى تتبجح به أوربا ليست إلا مظاهر جوفاء ليست وراءها حقيقة ، إن قادتها يمتصون دماء الشعوب و يلقون درس المساواة الانسانية و العدالة الاجتماعية ، إن البطالة و العرى و شرب الخمر و الفقر هى فتوح المدنية الافرنجية ، إن الأمة التى لا نصيب لها فى التوجيه السماوى و التنزيل الالهى غاية نبوغها تسخير الكهرباء و البخار ، إن المدنية التى تتحكم فيها الآلات ، و تسيطر فيها الصناعة تموت فيها القلوب ، و يقتل فيها الحنان و الوفاء ، و المعانى الانسانية الكريمة ، (١)

و قد كان انتقاده و استعراضه للحضارة الغربية و أسسها و مناهج تفكيرها فى محاضراته العلمية التى ألقاها فى مدراس و نشرت بعنوان « تجديد الفكر الدينى فى الاسلام » (٢) أعمق و أكثر تركيزاً بطبيعة الحال لأن جو البحوث الفلسفية غير جو الشعر و الأدب ، فقال و هو يتحدث عن طبيعة الحضارة المادية فى الغرب و الانسان المعاصر الذى يمثلها و يتزعمها و عن الأزمة و المشكلات التى يعانيها .

« الرجل العصرى بماله من فلسفات نقدية و تخصص علمى يجد نفسه فى ورطة فمذهبه الطبيعى قد جعل له سلطانا على قوى الطبيعة لم يسبق إليه ، لكنه قد سلبه إيمانه فى مصيره هو (٣) .

« الانسان العصرى و قد أعشاه نشاطه العقلى كف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحانية الكاملة أى إلى حياة روحية تتغلغل فى أعماق

١ - بال جبرئيل

٢ - RECONSTRUCTION OF ISLAMIC THOUGHT IN ISLAM .

٣ - المصدر المذكور ، ترجمة عباس محمود ص ٢١٤

النفس و هو فى حلبة الفكر فى صراع صريح مع نفسه ، و هو فى مضمار الحياة الاقتصادية و السياسية فى كفاح صريح مع غيره ، و هو يجد نفسه غير قادر على كبح أثرته الجارفة وحبه للمال حباً طاغياً ، يقتل كل ما فيه من نضال سام شيئاً فشيئاً ، و لا يعود عليه منه إلا تعب الحياة ، و قد استغرق فى « الواقع » أى فى مصدر الحس الظاهر للعيان فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده ، تلك الأعماق التى لم يسبر غورها بعد ، و أخف الأضرار التى أعقبت فلسفته المادية هى ذلك الشلل الذى اعترى نشاطه ، و الذى أدركه هكسلى (HUXLEY) و أعلن سخطه عليه ، ، ١)

« والاشتراكية الملحدة الحديثة — لها كل ما للدين الجديد من حمية و حرارة — لها نظرة أوسع أفقاً لكنها قد استمدت أساسها الفلسفى من المتطرفين من أصحاب مذهب هيجل (HECEL) و قد أعلنت العصيبات على ذات المصدر الذى كان يمكن أن يمدها بالقوة و الهدف ، و هى « إذن ليست » بقادرة على أن تشفى علل الانسانية » ، (٢)

و محمد إقبال يصف هذا المجتمع — الأوربى — لمجتمع يحركه تنافس وحشى ، و هذه الحضارة لحضارة فقدت و حدتها الروحية بما نطوت عليه من صراع بين القيم الدينية و القيم السياسية ، (٣)

و ينظر محمد إقبال — ككل مطلع خبير — إلى الرأسمالية و الشيوعية كفرعين من دوحة المادية و أسرتين للحضارة الغربية احداهما شرقية والأخرى غربية ، تلتقيان على النسب المادى ، والتفكير المادى والنظر المحدود إلى

١ - ايضاً ص ٢١٥ - ٢١٦ (٢) المصدر السابق ٢١٦ - ٢١٧ (٣) المصدر السابق ص ٢١٧

الانسان ، و يقول بلسان السيد جمال الدين الأفغانى — فى رحلة فكرية تخيلها و اجتمع به فيها — إن الغربيين فقدوا القيم الروحية و الحقائق الغيبية ، و ذهبوا يبحثون عن الروح فى « المعدة » إن الروح ليست قوتها و حياتها من الجسم و لكن الشيوعية لا شأن لها إلا « بالمعدة و البطن » و ديانة « ماركس » مؤسسة على مساواة البطون ، إن الأخوة الانسانية لا تقوم على وحدة الأجسام و البطون ، إنما تقوم على محبة القلوب و ألفة النفوس ، (١)

إن الملوكية و الشيوعية تلتقيان على الشره و النهامة و القلق و السآمة ، و الجهل بالله و الخداع للانسانية . الحياة عند الشيوعية « خروج » و عند الملوكية « خراج » و الانسان البائس بين هذين الحجرين قارورة زجاج ، إن الشيوعية تقضى على العلم و الدين و الفن ، و الملوكية تنزع الروح من أجسام الأحياء و تسلب القوت من أيدى العاملين و الفقراء . لقد رأيت كليهما غارقتين فى المادة جسمهما قوى ناضر و قلبهما مظلم فاجر ، (٢)

و يعتقد محمد إقبال أن هذه الحضارة غير قادرة على إسعاد البلاد الاسلامية و إعادة الحياة إليها و يقول « إن الحضارة التى قد اشرفت على الموت لا تستطيع أن تحيى غيرها (٣) » و قد جزت من إحسان هذه البلاد الشرقية إساءة من حياتها ، و كافأت غيرها بشر ، فقد منحها الشام نبياً (٤) رسالته العفة و المواساة و الرحمة ، و مقابلة الشر بالخير

١ - جاويد نامه ، ماخوذ من روائع إقبال للمؤلف ، ص ١٠٣ - ١٤ ! (٢) ايضاً
٣ - ضرب كليم ص ٦٨ (٤) يشير إلى سيدنا عيسى عليه السلام

و الظلم بالعفو و قد منحته أوربا — بدورها و مقابل كل ذلك — الخمر و القمار و الفجور و هجوم المومسات ، (١)

إنه يسئ الظن بدعاة التجديد — و بالأصح التغريب — فى الاقطار الاسلامية ، و يخشى أن تكون الدعوة إلى التجديد حيلة و ستاراً لتقليد الأفرنج ، (٢) و يقول : إننى يائس من زعماء التجديد فى الشرق فقد حضروا فى نادى الشرق بأكواب فارغة و بضاعة مزجاة فى العلم و الفكر .

إن البحث عن « برق جديد » فى هذا السحاب عبث فقد تجرد هذا السحاب الجهام عن البرق القديم ، فضلا عن البرق الجديد » (٣)

إنه يعارض التقليد الأعمى فى أمة من الأمم و لا سيما الأمة التى خلقت لقيادة الأمم و إحداث الثورة فى العالم ، و يقول « إن الذى يأتى بالجديد فى هذا العالم الذى يتجدد دائماً هو نقطة الدائرة التى يطوف حولها الزمان ، لا تعطل شخصيتك — أيها المسلم — بالتقليد الأعمى ، و احتفظ بكرامتك فإنها الجوهر الفرد ، إن التجديد (بمعنى التقريب) لا يليق إلا بأمة لا تفكر إلا فى الدعة و الترف ، (٤)

إنه يعاتب الأمم الشرقية الاسلامية التى كان دورها دور التوجيه و القيادة و أصبحت تمثل دور التلمذة الخاشعة ، و التقليد الذليل ، يقول — و كأنه يشير إلى الشعب التركى الاسلامى و من كان على شاكلته — إن أولئك الذين كانوا يستطيعون أن يقودوا عصرهم أصبحوا بسخافتهم يقلدونه و يمشون وراءه (٥) ،

١ - ضرب كليم ص ١٥٠ (٢) ايضاً ص ١٧٠ (٣) ايضاً ص ٦٩ ، يشير إلى أن هؤلاء المصلحين ثقافتهم القديمة و ثقافتهم الجديدة ضعيفتان محدودتان ليس لهم فى إحداهما كعب عال و لاباع طويل ، (٤) ضرب كليم ص ١٧٠ (٥) بال جبرئيل

إنه شديد الايمان بما تضمره الحضارة الاسلامية و الشريعة الاسلاميه من حيوية خالدة و قوة دافقة ، و إمكانيات واسعة لتكوين عالم جديد و تأسيس مجتمع جديد ، يقول فى خطبته التى ألقاها رئيساً لمؤتمر الأحزاب الاسلامية فى دهلى سنة ١٩٣٣ مخاطباً للمسلمين:

« إن الدين الذى تحملون رايته يقرر قيمة الفرد ، و يربيه تربية تجعله يبذل كل ما عنده فى سبيل الله و صالح عباده ، إن مضمرات هذا الدين القيم و كوا منه لم تنته بعد ، إن فى استطاعته أن يوجد عالما جديداً يجبى فيه الفقراء الأغنياء ، عالما لا يقوم فيه المجتمع البشرى على مساواة البطون ، بل يقوم على مساواة الأرواح .

حضارة الكيلوواط

بقلم الاستاذ محمد قطب

قال لى أحد الشيوعيين مرة و هو يجادلنى : إن مقياس الحضارة الحديثة هو مقدار مايستهلكه الفرد من التيار الكهربائى ! فقدر ما يستخدم من آلات حديثة تستهلك تيارا كهربائيا تقاس حضارته . و قد بلغت حضارة أمريكا كذا كيلوواط فى المتوسط لكل فرد ، و لم تبلغ بعد فى روسيا هذا الرقم ، و لكنها فى طريقها إليه لأن استهلاك الفرد هناك يرتفع بسرعة سنة بعد سنة .

قلت له : ولكن هذا معناه — بمقياسك — أن الشيوعية ماتزال متأخرة عن الرأسمالية ، فكيف يتفق هذا مع كونها — فى رأيك — حركة تقدمية عن الرأسمالية ؟ و فوجئ محدثى الشيوعى بهذا القول مفاجأة تامة ، و بدا عليه الذعر ! لأن المقياس الذى يتخذه لقياس الحضارة قد خذله على حين غرة منه ، وراح يحاول التخلص من المأزق بأن يقول : إن الشيوعية لم تأخذ مداها بعد ، و حين تصل إلى قمتها ستفوق الحضارة الأمريكية .

قلت له : لاتهرب ! أنا أسألك عن الفكرة الشيوعية ذاتها : أ أرقى هى من الرأسمالية الأمريكية حتى قبل أن تبلغ قمتها ، أم هى متخلفة عنها ؟

و سكت . . فلم يهتد إلى جواب !

* * *

و منذ أيام قرأت حديثا جرى بين إحدى الأمريكيات اللواتى يزرن مصر ، و بين إحدى الصحفيات عن مقياس الحضارة رددت فيه الأمريكية نفس الكلام . قالت إننا نقيس الحضارة بالكيلوواط ! فبقدر ما يستهلك الفرد من التيار الكهربائى تقاس درجة تحضره !

* * *

لماذا ينحرف الناس هناك هذا الانحراف ؟ لماذا تختل القيم فى موازينهم إلى هذا الحد الذى يثير السخرية حين يتمعن فيه الانسان ؟

إنها المقاييس الخاطئة تؤدى حتما إلى النتائج الخاطئة . و بقدر ما يكون الخطأ فى المقاييس يكون الانحراف فى النتيجة .

و المسألة إذن فى حاجة إلى تصحيح القيم . . تصحيح المقاييس .

* * *

كيف نقيس الانسان ؟

هل هناك مقياس « موضوعى » لايخضع لرأيى و رأيك ، بل يعتمد على أسس ثابتة يمكن الرجوع إليها لتصحيح المقاييس كلما اختلت فى أيدى البشر ؟ (١)

١ ـ أشرنا إلى هذه الفكرة من قبل فى فصل « مقياس الحياة » فى كتابه « فى النفس و المجتمع » و هنا نقيس الحياة من زاوية أخرى . و هذه الفكرة مكملة تلك .

فلننظر فى هؤلاء « البشر » . كيف أصبحوا بشرا . فلعلنا أن نصل — عن هذا الطريق — إلى المقياس الصحيح .

و أسهل طريق تصل منه إلى النتيجة ، و هو كذلك أضمن طريق ، أن نوازن بين الانسان و الحيوان . فالفرق المتبقى فى الميزان هو حقيقة الانسان !

والفروق بين الانسان والحيوان كثيرة لانظنها تحتاج إلى جدل كثير .

أحد الفروق بطبيعة الحال أنه يستخدم « عقله » فى التفكير و التعليم و الاختراع .

و أحد الفروق كذلك أنه يستخدم الارادة الضابطة فى تنظيم ميوله الفطرية و توجيهها ذات اليمين وذات الشمال .

و من هذا الفارق الأخير ، أو من كليهما معا ، كف الانسان — على مدار الزمان — عن الاستجابة المباشرة لميوله الفطرية على طريقة الحيوان ، وراح ينظمها و يهذبها ، و يستجيب لها آخر الأمر و لكن بعد أن يقطع بها شوطا بين المنبع و المصب . و على ضفاف هذا الشوط من المنبع إلى المصب نبتت الفنون و العقائد و الأفكار والفلسفات ، و العادات و التقاليد ، كالزهور الجميلة تنبت فى وسط الطين ، و لكنها شىء آخر غير الماء و الطين .

إلى هذا الحد يتفق الناس فى حكمهم على الانسان . فنكتفى إذن بهذا القدر ، و لاضرورة الآن لذكر الروح ، مادام الناس غير متفقين على أنها من مزايا الانسان التى تفرقه عن الحيوان !

و إذن فحين نتحدث عن الحضارة « الانسانية » ينبغى أن نرجعها

إلى مقاييسها تلك البديهية الظاهرة التى يتميز بها الإنسان عن الحيوان ، و إلا فستكون مقاييسها خاطئة قاصرة لاتصل بنا إلى الجواب الصحيح .

العلم .. و الاختراع .. لا شك أنه نتاج إنسانى أصيل . فالحيوان لايخترع ، و لايحسن أن يكيف حياته على أساس الاستفادة الواعية مما حوله من ذخائر الوجود .

و لكن القياس بهذا المقياس وحده لايكفى . و لا يؤدى إلى نتيجة صحيحة .

تصور أنك تحاول رسم دائرة بفرجار (برجل) ذى قائمة واحدة ! هل يمكن هل تصل إلى نتيجة ؟ أم إنه لابد من القائمتين معاً ، تركز بإحداهما فى مركز الدئرة و توجه الأخرى على الورقة حتى يتم الرسم ؟

العلم أو الاختراع .. هو مركز الدائرة . هو إحدى قائمتى الفرجار . و لكنه وحده لايعنى شيئاً و لايرسم صورة .

فالعلم يمكن أن يستخدم للخير و للشر . يستخدم فى التدمير و يستخدم فى البناء .

و العلم يمكن أن يستخدمه الرجل الفاضل و الرجل المنحرف . فأنا أستطيع أن استخدم الغسالة الكهربائية فى بيتى و أنا رجل هابط منحرف ، أكيد للناس و أتمنى لهم الشر ، سواء نفذت هذا الشر فى صورة جريمة أم بقى إحساسا كامناً فى نفسى ، كما أستطيع أن أستخدم هذه الغسالة الكهربائية و أنا رجل نظيف المشاعر أحب للناس الخير وأسعى لهم فى الخير .

فإذا كنت أستخدمها فى الحالتين فكيف تصلح فى ذاتها أن تكون مقياساً لإنسانيتى أو تحضرى ؟

و الغسالة الكهربائية شأنها شأن المحراث الميكانيكى ، و شأن الراديو و التليفزيون و السنيما و المطبخ الكهربائى و القطار الكهربائى والإنسان الآلى و المخ الإلكترونى .. إلى آخر هذه الآلات التى تعمل بالكهرباء و تستهلك الكيلوواط ! لايمكن أن تكون فى ذاتها مقياساً للحضارة و لامقياساً للآدمية ، لسبب بديهى بسيط هو أن الجميع يستخدمونها ، بما فيهم من خير و شر ، و صعود و هبوط . و إذن فلاتصلح لقياس الصعود و الهبوط فى مقاييس الإنسانية .

و إنما هى تصلح حين نضيف إليها القائمة الأخرى من قائمتى الفرجار ، لترتسم الدائرة و تتضح الصورة للعيان .

قلنا إن الفارق بين الإنسان و الحيوان — إلى جانب العلم و الاختراع — هو تحكمه فى نوازعه الفطرية ، و عدوله عن الاستجابة المباشرة إليها ، مما نشأ عنه الفنون و العقائد ، و الفلسفات و الأفكار ، و التقاليد و العادات .

تلك هى القائمة التى ترسم الدائرة . أما الأخرى فهى فقط محور الارتكاز . و على قدر المسافة التى أفتح بها القائمة الثانية تكون الدائرة ضيقة أو واسعة ، محدودة أو شاملة . بينما القائمة الأولى ثابتة فى جميع الأحوال فى نقطة الارتكاز .

فعلى إذن حين أبحث فى مدى حضارة إنسان معين ، أو شعب معين ، أن أرى الدائرة التى يعيش فيها . الدائرة التى يرسمها لنفسه بقائمتى الفرجار .

فإذا كان هذا الفرد أو هذا الشعب يستخدم التليفون و التليفزيون

و الغسالة الكهربائية و المطبخ الكهربائى .. و يستهلك أكبر قدر من الكيلوواط فى اليوم ، ثم يكذب و ينصب ، و يستغل الآخرين أسوأ استغلال ، و تفوح من تصرفاته روح الغدر و الخيانة ، و الأنانية البغيضة .. أو إذا كان يستهلك هذا القدر من الكهرباء ، ثم يتنازل عن آدميته ، عن فنونه و عقائده ، و آرائه و فلسفاته ، و تقاليده و عاداته ، و يرتد كالحيوان يستجيب لميوله الفطرية استجابة مباشرة .. فكيف أقول إنه متحضر ، بل كيف أقول إنه إنسان ؟ !

و ما قيمة هذه الكيلوواطات كلها ، و هى لاترفع مشاعره مرة إلى إحساس نبيل ، أو رغبة فى التعاون مع بنى البشر على الخير ؟

أمريكا هى البلد الذى وصل إلى القمة فى استهلاك الكهرباء ..

و أمريكا هى التى تعامل الزنوج تلك المعاملة البشعة التى لم يسمع عنها إلا فى شريعة الغاب .

فكيف تكون أمريكا متحضرة ، و لو استهلكت من الكهرباء أضعاف ما تستهلكه اليوم بحساب الكيلوواط ؟ !

* * *

و إذ كان العلم و الاختراع شيئاً مشتركا ، أو يمكن — على مدار الزمن — أن يكون مشتركا بالنسبة للجميع ، فالمقياس الآخر إذن هو الذى يحدد النتيجة و يرسم الصورة .

الآدمية .. أو الحيوانية ..

الارتفاع عن عالم الضرورة أو الهبوط إليه ..

الاحساس بالآخرين على أنهم زملاء فى البشرية ، أو أعداء يجب

تحطيمهم والاستئثار دونهم بطيبات الحياة ، أو عبيد يستغلون لحساب سيدهم .

هذا هو المقياس .

و بقدر ما يرتفع الإنسان أو يهبط فى هذا المقياس تكون درجة تحضره ، لأنها درجة إنسانية .

فالذى يغرق فى شهواته و لذائذه لايرتفع عنها . حيوان مرتد عن الإنسانية .

والذى ينبذ عقائده وتقاليده وأخلاقه . حيوان مرتد عن الإنسانية .

و الذى يسعى إلى إيذاء الآخرين من بنى البشر .. حيوان مرتد عن الإنسانية .

و لو استخدم كل آلات الأرض ، و استهلك كل ما فيها من كهرباء .

والذى يكتفى من متاع الجسد بالقدر المعقول ويملك حريته إزاء شهواته

و الذى يربط قلبه و وجدانه بعقيدة تقيه من الهبوط ، و ترفع وجهه إلى السماء و هو يمشى بقدميه على الأرض .

و الذى يحس بالكيان البشرى الآخرين فلايستعبدهم و لاينابذهم و لايستأثر دونهم بالخير .

ذلك هو الإنسان المتحضر ، و لو لم يستهلك كيلوواطا واحداً من الكهرباء !

* * *

هل تلك مقاييس شخصية تقديرية ؟

كلا ! فقد رددناها إلى أصولها البسيطة ، التى ينبغى أن ترد إليها . وهى الفوارق التى تفرق بين الإنسان و الحيوان . و كل مقياس لايدخل

هذه الفوارق فى حسابه فهو مقياس خاطىء ، لأنه لايقيس حقيقة الإنسان ، و إنما يقيس جانباً واحداً منه لايعبر بذاته ، و ليس له وحده دلالة ، و إنما يعبر فقط حين يتبين اتجاهه ، و يرسم له الخط الذى يسير فيه .

و من هنا تبدو تفاهة المقاييس الغربية التى تقيس الحضارة بالكيلوواط!

* * *

هل معنى ذلك أن ننفض أيدينا من ثمار التقدم العلمى مادام ليس لها وزن فى الميزان ؟

كلا . لا أريد أن أقول ذلك .

فالعلم — كما قلنا — نتاج بشرى أصيل . و الاستفادة من ثماره ، و تكييف الحياة على أساسها خصلة مميزة للإنسان ، فإذا أبى الإنسان ذلك أو نكص عنه فهو لا يريد أن يستغل كل كيانه و كل طاقاته ، و هو إذن ناقص الكيان .

و لكنى أريد أن أثبت حقيقة هامة :

إن الإنسان يستطع فى سهولة أن يعوض ما ينقصه فى جانب العلم و الاختراع ، إذا كان غنى النفس بالجوانب « الإنسانية » الأصيلة التى يرتفع بها عن عالم الضرورة ، و يشعر بزمالة البشر فى الإنسانيه فيتعاون معهم على الخير المشترك للجميع .

و لكنه لا يستطيع بالعلم وحده أن يعوض ما ينقصه فى الجانب الإنسانى و لو أضاف كل يوم مائة اختراع جديدة ، و لو استهلك كل يوم ألف كيلوواط .

و من ثم يكون المقياس الآخر هو المقياس الحاسم ، و لا يكون الأول إلا « شيئاً » فى الميزان !

* * *

و أوربا اليوم تفسد مقاييس الحياة لأنها — اليوم — تملك السيطرة و السلطان !

و رب قائل يقول : و كيف ملكت القوة والسلطان ؟ و كيف ملكت أن تفرض المقاييس الخاطئة للبشرية ؟ أليس بالعلم و الاختراع ؟!

و إذن فهذا هو المقياس !

و ذلك حق يؤدى إلى باطل !

فامتلاك السيطرة ليس حتما أن يكون على حساب الإنسانية الحقة . و قد كان العالم الاسلامى فى وقت من الأوقات يملك كل وسائل القوة المادية و كل ثمرات العلم ، و مع ذلك كان يرتفع فى مقياس الإنسانية إلى الحد الذى شهد به أعداؤه من الصليبيين ، و ما يزالون يشهدون به فى كتب التاريخ

و من جهة أخرى فان امتلاك أوربا للقوة المادية على غير رصيد نفسى نظيف قد أدى إلى هذا الصراع الرهيب فى حربين متواليتين فى ربع قرن ، والثالثة على الأبواب تنذر بتدمير الحياة على وجه الأرض .

و يوم تصل البشرية إلى استخدام ثمار العلم فى تهذيب النفوس و الارتفاع على عالم الضرورة ، فيومئذ فقط تكون قد ارتقت حقاً فى مقياس الحضارة الأصيل .

وحدة لا أساس لها

سعيـــد الأعظمى الندوى

الوحدة العربية حلم لم يتحقق بعد !

و ليس لتحققه أمل فى مستقبل قريب ، مادام يسلك أبطال الوحدة و زعماؤها على المنهج الذى خطوه لأنفسهم و يحاولون تنفيذ خطة لم تقم على أساس مستقيم .

إنى أرحب بفكرة الوحدة العربية و أثنى عليها ، و أتمنى أن أراها حقيقة ثابتـة حية فى عالم الواقع ، و لاينكر عليـه — معى — أحد و لايعيبه ، و لايرمى من دعا إلى هذه الفكرة بسوء تدبير و قلة تفكير ، أو عصبية جاهلية ، أو نعرة قومية .

فالوحده العربية — فى ذاتها — فكرة طيبة تطلب من كل مسلم عربى أو غير عربى أن يوجه إليها قسطاً كبيراً من تأييده وموافقته ، و اعتقد أن مثل هذه الوحدة لايختلف فيها اثنان ، فانها وحدة تحتاج إليـها كل أمة على وجه الأرض تريد أن تأخذ مكانتها تحت الشمس ، و تنال حقها الطبيعى الانسانى فى هذه الحياة ، و تساهم بنصيب لائق فى بناء هذه المدنية والحضارة ، وخدمة الانسانية المنهارة .

أما القوميـة التى يريد أبطال الوحدة أن يجعلوها أكبر أساس يقوم عليـه بناء الوحدة فهى لاتحتمل هذا العبء الثقيل ، و لا أرى أنها — أى القومية المحدودة — تستطيع أن تكون أساساً متيناً لفكرة تحمل معانى عظيمة ، و قيما إنسانية كبرى ، لأن القومية ليست إلا فكرة ضيقة محدودة لاتدعو دعوة إيجابية فى الحياة ، و قوة خلقية لتوجيه الركب الانسانى ، إنها — بالعكس من ذلك — توزع الأمم فى أحزاب و جماعات محليـة ، و تمزق وحدة صفوفهم ، فالسعودى مثلا له قومية (جنسية) خاصة غير قوميته العربية ، و المصرى له قومية ، و العراقى له قومية ، و للمغربى قومية ، رغم أن هؤلاء كلهم عرب ، و مع ذلك فانهم لا يجتمعون على نقطة واحدة من القومية العربيـة — المزعومة — و لايتفقون على تعبير واحد للقومية العربية ، فالمصرى يزعم نفسه من أمة عربية راقيـة من ورائها رصيد عظيم من حضارة فرعونية صنعت التاريخ و أسهمت فى تكوين الحضارة بنصيب الأسد ، و العراقى يظن أنه من سلالة بنى أميـة أو بنى العباس مثلا ، أو من الأرض التى كانت قبلة المسلمين فى الحضارة و العلم ، كما يعتقد السعودى أنه عربى قح لا تشوبه جنسية أجنبية ، و سلالة خارجية ، و أن آباءه ممن كانوا فى عهد الرسول عليـه الصلاة و السلام ، و تشرفوا بالمسير فى ركابه ، و الاقامة فى مجالسه ، و كذلك المغربى ينزعه عرق عربى آخر ، و تنتج كل هذا الاختلاف فى نزعاتهم و ميولهم و تاويلاتهم ، أن لا يجتمعوا على كلمة « القومية العربية » ، بل يعتز كل واحد منهم بقوميته ، و تقاليده ، و تراثه الذى ورثه عن آبائه و أبناء قومـه .

و لعل ذلك هو السبب الرئيسى فى فشل القومية العربية ، و إخفاق فكرتها ، فقد رأينا الذين استقبلوها و اعتنقوها ، و الذين آمنوا بها كعقيدة و نظام و كان يبدولنا أن هذه الفكرة تسيطر على العالم العربى فى أسرع وقت ، و أن الأمة العربية ستقبل هذه النعمة الكبرى بشكر و تقدير عظيمين ، رأينا نفس أولئك المتحمسين المؤمنين بهذه القومية أنهم سئموها أخيراً و أنكروا عليها ، و بدأت بعض الأقطار العربية تمج هذه الفكرة و تكرهها ، و ذلك لأنها لم تجد فيها بغيتها ، و لم تر فيها مطلبها ، بل إنها وجدتها تمزق و لاتجمع ، تشتت و لا تنظم ، تنفر و لا تؤلف .

هذه حقيقة يقرها العلم و المنطق و يؤيدها الواقع و التاريخ ، و الاوضاع الراهنة ، و التجارب التى مرت بها الشعوب العربية فى السنوات الأخيرة الماضية ، و قد ظهرت هذه الحقيقة بكل وضوح فى انفصال الوحدة بين سوريا و مصر التى قامت على أساس القومية العربية ، كما ظهرت فى الخلافات التى جرت بين زعماء الأقطار العربية فى الوقت الحاضر ، فلم يقبل العقل العربى ، و النزعة العربية الحرة هذا الأساس ، و لم يرض المجتمع العربى باقامة وحدة تفرض على البلاد العربية كلها باسم القومية العربية ، و إن لم ينكر على ذلك . و لم يكرهه بلسان المقال فقد كرهه و شدد عليه إنكاره بلسان الحال .

إننى أقف قليلا و أتسائل :

ماذا يراد بالوحدة ، و ما معناها ؟ هل يراد بها وحدة فى اللغة و الثقافة و الحضارة و التقاليد ؟ أم وحدة فى الفكر و المنهج و السياسة

و العلم ؟ إذا كان المراد بالوحدة هى الاتحاد بين اللغة و الثقافة و الحضارة و التقليد فلاشك أن الأقطار العربية كلها تتمتع بهذه الوحدة ، و أن لغتهم و ثقافتهم و حضارتهم و تقاليدهم واحدة بفرق يسير فى بعضها لايحتاج إلى كبير جهد لتوحيدها و تقريب صفوفها .

أما الوحدة فى الفكر و المنهج و السياسة و العلم و مصالح البلاد الخاصة فلانعرف أن بلاداً لها كيانها الخاص ، و طبيعتها الخاصة ، و هى حكومة مستقبلة منذ زمن بعيد أو قريب و لها أفراد يتزعمون سياستها ، و يمثلون دورها فى الكتلة العربية ، كيف ترضى أن تعطى نفوذها ، و ترفض حكومتها و سياستها و تندمج فى دولة تدعو إلى الوحدة ، و تهتف بالاتحاد ، (و إن كانت تلك الدولة عربية تنادى دولة عربية إلى الوحدة المعروضة) و الانضواء تحت رايتها ، تاركة كل ما لها من كيان مستقل ، و حكومة خاصة ، دون نظر إلى مستقبلها و طبيعة شعوبها ، و قضايا بلادها و مشكلاتها .

أظن أنها لاترضى أى دولة مهما كانت صغيرة أو ضعيفة بأن تحتكم و تملك سياستها دولة أخرى ، فلا يرضى مثلا العراق أن يندمج فى دولة عربية أخرى و لايقبل انضماما معها باسم الوحدة فى الفكرة ، و السياسة و المنهج و العلم ، فإنه قد يرد على من يعرض عليه هذه الفكرة أن طبيعة شعوبه غير طبيعة شعوب دولة أخرى ، و مصالحه السياسية و مناهجه الثقافية و الفكرية لا تتفق مع مصالحها و مناهجها .

إذن كيف يمكن الوحدة فى هذه القضية ؟

و الوحدة التى تقوم على أساس القومية سرعان ما تنهار و تنفك

مراهما ، لأن القومية ليست فكرة ذات شأن تستهوى القلوب و تجمعها على كلمة واحدة ، و من الذى لايعرف أن الوحدة بين سوريا ومصر قامت على هذا الأساس و لم تلبث أن انفصمت عقدها ، وأصبحت قصة عتيقة ، و أثراً بعد عين ، لماذا لم تغن القومية عن هذا الانفصال ، و لم تقم سداً فى وجهه هذا الانهيار .

و إذا أخفقت هذه القومية فى رسالتها التى تغنى بها أهل هذين القطرين ، و إذا فشلت الوحدة فى هذه الفرصة الذهبية النادرة التى تقل أمثلتها فى التاريخ و لم تستطع أن تقرب بين هولاء و أولئك ، و أخيراً آذنت بإخفاقها و خيبتها ، فلاشك أن الوحدة سواء كانت فى اللغة و الثقافة و الحضارة أو فى الفكر و السياسة و المنهج لاتقوم على هذا الأساس ، و إذا قامت لا تدوم !

و إن لها أساساً آخر سنبحث عنه بعون الله فى العدد القادم ؟

— يتبع —

الامام الصاغانى اللاهورى

— ٣ —

الأستاذ أحمد حسن
- كرانفى -

و لما عاد الامام الصاغانى إلى الهند هذه المرة لم يقم فيها طويلا لانه لم يرتض من سيادة الملكة رضية بنت أيلتمش ، إذ الاسلام لايجيز إمامة النساء ، و من ثم ضاق ذرعا بالقيام فيها ، فأصبح يبذل قصارى جهده لمغادرة الهند فى أقرب الوقت ، فكتب فى هذا الشأن إلى أبنائه فى بغداد و لكن دون جدوى ، و مضى فى هذه المحاولة نحو عامين ، حتى كلل الله جهوده بالنجاح . و حقق أمله ، بأن طلبه الخليفة إلى بغداد فى بعض الشأن ، فانشد قصيدة رائعة قبيل رحلته إلى بغداد ، و هى تشتمل على ٥٩ بيتاً ، أبان فيها انطباعاته عن ما جرى عليه من الأحداث ، و ما لقى من السراء و الضراء على أيدى الحدثان و بعبارة أصح أنها قصة حياته كتبها بنفسه . و إليكم بعض الأبيات منها .

أنسانى الدهر أعطانى و أوطانى و حطنى و وهاد الخسف أوطانى
و كنت أفنيت عمرى فى رفاهية فمظنى و لذيذ العيش أنسانى
و كان قدمنى قدراً و أكرمنى فالآن أخرنى غدراً و أنسانى
و كم غنيت بمغنى العز ذا شرف أجر فى المجد أذيالى و أردانى
و ردنى خائباً صفر اليدين نقى من بعد ما كان بالترحيب حيانى
و كنت أعيى زمانا عزة وسنا فالآن جور زمان السوء أعيانى
و كان دوحة عيشى غضة زمنا قصيرة ذات أغصان و أفنان(١)

لايسعنى أن أضيف شيئاً إلى هذه الابيات نظراً إلى الايجاز و الاقتصار ، و قد نقلها ابن أبى مخرمة فى تاليفه تاريخ ثغر عدن ، بتمامها ، من شاء فليراجع ، إن هذه القصيدة تدل على جودة شعره ، و بديهة حاضرته ، وخصب فكره ، و ما إليها .

نزل الصاغانى بكدراء و هى بلدة باليمن فى طريقه من الهند إلى بغداد (٢) و عند ما وصل إلى بغداد عينه الخليفة المستنصر بالله شيخاً لرباط المرزبانية ، لما كان له من مكانة رفيعة فى التصوف ، أما المرزبانيان فهى قرية على نهر عيسى أنشأ بها الخليفة الناصر لدين الله رباطا للشيخ شهاب الدين محمد بن عمر السهروردى المتوفى سنة ٦٢٣ للهجرة ، وبنى إلى جانبه دارا واسعة و حماما و بستانا لأهل التصوف ، و مازال الصاغانى شيخاً لهذا الرباط إلى آخر أيام المستنصر ، ثم نظر فى شرط الوقف ، فوجد فيه أن يكون شيخ الرباط شافعياً لازما ، فعزل نفسه (٣) و لما استقال الصاغانى عن منصبه ولاه الخليفة مدرساً

١ - تاريخ ثغر عدن ج ٢ ٥٥ - ٥٨ (٢) بمجمع البحرين مادة كدر (٣) الحوادث الجامعة ص ٢٦٣

لحمار تكين و خلع عليه ، و عند ما حضر المدرسة القى فيها كلمة فصيحة و ذكر عشرة دروس تولاها ، ثم ارتجل عند فراغها الأبيات الآتية :

فهاكم يا سادتى منى دروساً عشره
فانتم معادن الفـ - - - - - ضل الكرام البرره
و لست حبراً عالما لكنها محبره
فلتعذروا أخاكم فمثلكم من عذره (٤)

و مازال الصاغانى مدرساً فى هذه المدرسة إلى آخر حياته ، وكان الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى يكرمه غاية الاكرام على أنه كان شيعة ، فكان رحمه الله يتردد الى دار الوزير و يدرس نجله عزالدين الأدب ، و كان الوزير له خزانة كتب احتوت على عشرة آلاف مجلد من النوادر أنشأها فى داره ، و فى الدار أدخل الصاغانى نسخة من الصحاح للجوهرى بعد أن قام بالتصحيح و التعليق ببغداد (٢) و انتقل إلى جوار ربه و هو ابن ثلاث و سبعين ، فى التاسع و العشرين من شعبان عام ٦٥٠ للهجرة بمدينة بغداد .

و قصة وفاته طريفة ، روى أنه كان معه طالع مولود (زنج) و قد حكم فيه بموته ، فكان يترقب ذلك اليوم حتى حضر و هو صحيح معافى ، فعمل لأصحابه مأدبة شكرا لذلك ، يقول تلميذه الرشيد شرف الدين الدمياطى : و فارقناه و عدنا إلى الشط ، فلاقى شخص و أخبرنى بموته ، فقلت له : الساعة فارقته ، فقال : و الساعة وقع الحمام ، يخبر بموته فجأة ، و ذلك عام ٦٥٠ للهجرة (٣)

١ - الحوادث الجامعة ص ٢٨٧ (٢) المقدمة للعباب الزاخر للصاغانى (٣) بغية الوعاة ص ٢٢٧

ثم دفن رحمه الله فى داره التى يسكنها ببغداد ، و هى الحريم الطاهرى ، ثم نقل جسده بعد عدة أيام إلى مكة المكرمة و دفن بها فى الجنة المعلاة عند رمس الشيخ فضيل بن عياض رحمه الله ، و بذلك أوصى قبل وفاته ، و أعد خمسين ديناراً لمن يحمله إلى مكة (١) و لم يزل فى جوار بيت الله الحرام حياً و ميتاً و هكذا حقق الله تعالى أمنيته الغالية ، التى كان يدعو بها كثيراً فى حياته ، و بمناسبته وفاته أنشد أصحابه القصائد الطوال يرثون بها ، نذكر بعض الأبيات فيما يلى :

قال الشيخ أحمد بن محمد :

أقول و الشمل فى ذيل النوى عثرا يوم الوداع و دمع العين قد كثرا(٢)
أبا الفضائل قد زودتنى أسفاً أضعاف مازدت قدرى فى الورى أثرا

و قال عز الدين العلقمى :

هوت بالصاغانى الذى لج قدره علوا من الأقدار دهماء قاذف
ليبك عليه العلم إن عاش بعده و تندب إن تبقى النهى و المعارف
بكاك كتاب لم تتم فصوله و دون أمانى الرجال صوادف
و مات حميداً حين لم يبق مشرق و لامغرب إلا له فيه واصف(٣)

و كان رحمه الله شيخاً صالحاً صموتا عن فضول الكلام ، حسن السيرة ، جميل الخلق ، واسع الصدر ، لين العريكة ، إلى الله خاشعاً و مخبتا ، و على متوكلا و قانعا ، و إلى ذلك كان فقيها محدثا ، لغويا ، شاعراً ، ذامشاركة تامة فى العلوم ، قال السيوطى رحمه الله : إنه كان حامل لواء اللغة ، قال الدمياطى : إنه كان إماما فى الفقه و الحديث .

١ - نزهة الخواطر ج ١ ص ١٣٨ (٢) تاريخ ثغر عدن ، ترجمة الصاغانى - ج ٢ ص ٥٥
٣ - الحوادث الجامعة ، ترجمة الصاغانى ص ٢٦٤

و قد أخذ عنه الشيخ شرف الدين الدمياطى ، و نظام الدين محمود بن عمر الهروى ، و محى الدين أبو البقاء صالح بن عبد الله المعروف بابن الصباغ ، و الشيخ برهان الدين محمود بن أبى الخير أسعد البلخى ، و خلق كثير .

و له مؤلفات كثيرة نذكرها فيما يلى مع إلمام يسير ، التكملة و الذيل و الصلة ، هذا الكتاب معروف بالتكملة ، جمع فيه ما أهمله الجوهرى ، بلغت مراجعه ألف كتاب ، فى غريب القرآن ، و الحديث ، و اللغة ، و النحو ، و الصرف ، و أخبار العرب ، و أشعارهم ، و حيوانهم و أساجتهم و غير ذلك ، و التكملة خير ما ألف حول الصحاح و تكملاته و حواشيه ، و اصلاح خاله ، و تصحيح وهمه ، و يضم ستين ألف مادة ، فرغ من تاليف هذا الكتاب أمام بيت الله الحرام فى العاشر من صفر سنة خمس و ثلاثين و ستمائة للهجرة .

و أراد الصاغانى من تاليف هذا الكتاب أن يكمل الصحاح ، بعدد ما أغفله الجوهرى و قد وفق الصاغانى لما قصد إليه ، فكتابه تكملة الصحاح حقاً ، لا يجاريه و لا يماريه أحد ، و استدرك على الجوهرى ستين ألف مادة من النوادر و الفصيح و صحيح اللغة ، و لم يقف عمله على التكملة ، و استدرك ما فاته الجوهرى بل صحح له كثيراً من الأوهام و الغلط و التصحيف و التحريف فى الكلمات و الأعلام و أسماء المواضع ، و أكمل الشواهد الشعرية و الناقصة ، وصحح نسبة كثير منها مما أخطأ فيه الجوهرى ، و صحح ما ظنه حديثاً و ليس بحديث و ما ظنه ليس بحديث و هو حديث شريف ، و بالتالى نذكر بعض

الأمثلة من التكملة التى تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه و براعته فى فن اللغة .

جاء فى الصحاح :

يعلون بالمرد قوش الورد ضاحية على شعابيب ماء الضالة اللجز

اراد اللزج فقلبه (الصحاح)

قال الصاغانى : و هذا تصحيف تبع فيه الجوهرى ابن السكيت و إنما هو اللجن بالنون من قصيدة نونية ، و قبله : من نسوة شمس لا مكره عنف و لا فواحش فى سر و لا عان ، و هو تصحيف قبيح و أقبح منه تفسيره كلمة لجز بأنه مقلوب لزج (التكملة)

و يؤخذ عليه أنه ينسب الحديث إلى غير صاحبه عليه السلام كقوله فى حديث أبى سراقه : ما خلأت و لا حرفت ، بل حبسها حابس الفيل ، و نسبة الحديث إلى سراقه سهو . و إنما هو حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، قال عام الحديبية رواه المسور بن المخرمة و مروان بن الحكم (التكملة)

و ربما ينسب إلى الحديث النبوى ما ليس منه ، كقوله : لاتسبوا الأبل ، فان فيها رقوء الدم ، و هو ليس بحديث بل هو قول العرب ، يجرونه مجرى الأمثال و أصله من قول أكثم ابن صيفى فى وصية كتب بها إلى طئ ، قال فيها : و لاتضعوا رقاب الابل فى غير رقابها فان فيها ثمن الكريمة و رقوء الدم ، و بألبانها يتحف الكبير و يغذى الصغير ، و لو أن الابل كلفت الطحن لطحنت (١)

١ - المقدمة على الصحاح للجوهرى ، الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار ص ١٣٨ - ١٣٩ أخذا من التكملة للصغانى

الذيل و الصلة لكتاب التكملة وحاشيتها . ذكر فى مقدمته قائلا : هذه حاشية ذيل الصحاح فى اللغة من تالينى المسمى بالتكملة وصلته أفردتها تسهيلا على الطالب ، و تيسيرا على الراغب ، فمن حواها و التكملة حاز جميع ما فات الجوهرى ، و من جمع بينها و بين الصحاح أو اقتنى كتابى المسمى بمجمع البحرين حاز اللغة بحذافيرها .

ما أهمله الجوهرى من اللغة : و هو كتاب الصغير أكمل به التكملة ذكر فيه ما فاته ذكره فيها ، و ترتيبه على طريقة الصحاح .

مجمع البحرين : كتاب ضخم فى اثنى عشر سفراً جمع فيه بين الصحاح و التكملة و هو الكتاب الذى جمع فيه ما أهمله الجوهرى و طريقة الصاغانى فى هذا الكتاب أنه ذكر الصحاح و رمز له بحرف ص ، ثم ذكر كتاب التكملة و هو جعل علامته ت ، ثم أردفها بحاشيته ، أشار إليها بذكر المادة من الصحاح ، و إذا انتهى منها ذكر المادة من التكملة ، ثم ذكر ما ليس فيهما مما وصل إليه علمه ، واستفاد الصاغانى فى تاليف هذا الكتاب من ألف مصنف أو يزيد .

يذكر فى خاتمة الكتاب :

فمن رابه شئ مما فى هذا الكتاب (مجمع البحرين) فلا يتسارع إلى القدح و التزييف و النسبة إلى التصحيف و التحريف حتى يعاود الأصول التى استخرجته منها و المآخذ التى على تلك الأصول ، و انها تربى على ألف مصنف ، (١)

١ - مجمع البحرين

يستدرك الصاغانى فى مواضع من هذا الكتاب على المورخين الذين نسبوا بعض الأمكنة إلى الهند و ليس منها فى علمه ، فيواخذ البلاذرى — مثلا — و هو يقول ، قال البلاذرى فى كتاب البلدان : بيلمان بالسند أو الهند و إليه ينسب السيوف البيلمانية ، قال الصاغانى مؤلف هذا الكتاب لا أعرف بالسند و لا بالهند موضعاً يقال له بيلمان (١)

— يتبع —

و كلاؤنا فى العالم العربى

الجمهورية العراقية : الأستاذ إبراهيم السعيد ، دار النذير ، باب المعظم ، بغداد

المملكة الأردنية الهاشمية : الأستاذ مسعود على مسعود مركز « الاخوان المسلمون » عمان

المملكة السعودية : الأستاذ يحيى صالح باسلامه جريدة « الندوة » اليومية ، مكة المكرمة

لبنان : الأستاذ يحيى جراب ص ب ١٦٨٤ بيروت

ليبيا : الأستاذ محمد سعد الخياط المحكمة الاتحادية طرابلس

١ - المصدر مادة بلم

العدوان الصينى على الهند

للاستاذ محمد الرابع الندوى

تعانى الهند اليوم أزمة شديدة قاسية على حدودها الشمالية الشرقية و الغربية للهجمات التى تقوم بها الصين الشيوعية عليها ، و مما يؤسف له أسفاً كبيراً أن هذه الصين هى التى أبلت الهند فى سبيل صداقتها بلاء حسناً و اتفقت معها ايضاً فى بندونج اتفاقا وثيقاً على المبادئ الخمسة ، و سالمتها مسالمة ملموسة طيلة الأيام السابقة منذ استقلالها و حاولت الابتعاد دائماً عن كل شئ يكدر صفو صداقتها معها .

لكن الصين الشعبية (الشيوعية) لم ترد على كل هذه المحبة و الصداقة إلا رد النكران و الجحود و الطغيان و الكنود و قامت بخرق صارخ لكرامة الأراضى الهندية و ادعت كونها خاضعة للصين ، داخلة فى البلد التبتى الذى كانت الصين قد استولت عليه قبل بضعة أعوام

و لم تكتف الصين بهذه الدعوى بل قامت بهجمات عنيفة على الشمال الشرقى و الشمال الغربى من حدود الأراضى الهندية مما أكلت فى ظرف عشرة أيام ماضية عدداً كبيراً من جنود وطننا

المسألة لاتفتقر عندى الآن إلى بحثها تاريخياً أو جغرافياً فان هذه الناحية من البحث مفروغ منها واضحة لدى الجميع أو لدى من يريد أن يدرسها و يفهمها ، غير أن المسأله تحتاج إلى دراستها وفهمها نظراً إلى الغاية التى استهدفها هذا الاعتداء و الآمال التى يحملها و يستخفيها فى ضميره فان الصين شيوعية علمانيـة لاشك فيها و الشيوعية فى اصل طبعيتها ثورة على كل قديم ، و هدم لكل نظام غير نظام الشيوعية ، و لذلك لاتمنع الشيوعية صداقتها و لا انسانيتها عن التدخل فى سياسة البلدان الأخرى و أثارة الفوضى و القلق و الاضطراب فى مختلف المجتمعات ليتسنى للشيوعية الدخول إلى الاقطار المختلفة و ظهور ثورة شيوعيـة قوية تطيح بالحكم القائم فى بلاد و من هنا تصبح الشيوعيـة خطراً على جميع البلدان و الأقطار سواء كانت صديقة أم معادية بل و قد تكون الدولة الصديقة أكثر تعرضا لأ خطار الشيوعية سراً أو جهاراً ، و الشيوعيـة لاتعطى الشعوب التى تبسط سلطانها عليها بلسما لجراحاتها كما تدعى ذلك و قد ثبت ذلك بدراسة أحوال الشعوب الرازحة تحت وطأة النظم الشيوعية أو الاشتراكية كما يسميها بعض الزعماء الثوريين .

بل إنما تحيل الشيوعيـة رعاياها فى بلد تستولى عليـه من كتل انسانية إلى ما كينات من لحم و دم تعمل طائعة لقاء غذاء تعطيه لتقيم به أودها ، و تقى به معيشتها . كما أنها تسخر القوى البشرية كلها لغاية

معينـة أقرب ما تكون إلى خطأ فى التفكير و النظر و أبعد ما تكون عن الاعتراف بالسمو الانسانى و مكانته فى الوجود .

إن الشيوعية إذا ما قامت فى بلد فلا ترى اذن إلى شئ ما غير نفسها وجبروتها ، و لاتبالى بالمعانى التى تنبع من غير الشيوعية إلامدى ما تسمح بها سياستها فى ذلك انها تحقق مشاريعها بالقوة و الضغط و تحافظ على حكمها بالتجسس و الاضطهاد و تفرض أرادتها بالحديد والنار إنها لا ترضى أبداً بالمناقشة أو المعارضة و لا تسمح أبداً بالاختلاف ، انها تريد من أتباعها طاعة عمياء و امتثالا ميكانيكيا و تجرداً عن العاطفة و سخرة كاملة لدفع التيار الحضارى الاشتراكى .

هذه الشيوعية كان يرجى لها كما يظهر من آمالها و اعمالها أنها ستبيد من المجتمعات التى تحكمها ، الفقر و الحاجـة و الجوع ، و تقيم على الأقل نظاما ماديا كاملا يجد فيه كل فرد من أفراده طعما كافياً و لبوساً كاسياً دافئاً ، و تفنى من مجتمعها الفقر و الحاجـة و لو على حساب الفضائل الانسانية التليدة و المعانى السماوية السامية . و لكننا مع الأسف لم نجد ذلك أيضاً كما كان يرجى منها ، فلا تزال روسيا و هى أم الشيوعية و مهدها سائرة على النظام الشيوعى منذ أربعين سنة و لم تستطع إلى الآن بعد كل جهودها أن تتساوى بالدول التى لاتؤمن بالشيوعية فضلا عن أن تسبقها فى مضمار الاكتفاء المادى ، و هذه هى الصين الشعبية التى ترسمت خطـى روسيا فى تطبيق النظام الشيوعى ، لاتزال تغزوها المجاعات ويعم فيها الجدب و القحط و الجوع فما الذى يبرئ الشيوعية بعد ذلك و يبعث الناس على أن يعقدوا بها الآمال

إن الشيوعية فى حقيقة أمرها عذاب تبتلى به الشعوب و الحكومات على تقصيرها فى أداء الواجبات الاجتماعية عليها ، و ليست رحمة للبشر كما يظن المخدوعون ، أنه يجب أن نفهم ذلك جيداً و لانرحب بكل طريف حذرا من أن يكون سم فى هذا الطريف يقتلنا و يقتل أبناءنا .

و إنا إذا رأينا الصين المعتدية على الأراضى الهندية من هذه الجهة أيضا يشتد علينا أمرها و يعظم علينا بلاؤها و المسلمون هم اعظم من يجب أن يفهموا ذلك و يعدوا له عدتهم .

كما أن هذه الحملة التى قامت بها الشيوعية الحاكمة فى بكين على الحدود الشمالية الهندية ، تكشف القناع عن الفلسفة الشيوعية فى معاملة الشعوب و الدول انها تدل إن دلت على أن الشيوعية ستر ما يبتلى به الانسان سواء كان ذلك على اساس الاعتناق لمبادئها أو كان على اساس الاتحاد بها أو كان على اساس الصداقة معها .

فالذين اعتنقوها كمبدأ لحياتهم وقاعدة لسياستهم و نظامهم فهم فى بلاء و محنة ايضاً ، و كفى لذلك مثالا ما يغزوالافراد و المواطنين فى الدول الشيوعية من كبت و ظلم و إرهاب ، و ما يعم فيها من مجاعات و جدوب و حرمان من المكاسب الكافية ، فقد نرى كل ذلك و نقرأه عن دول شيوعية مختلفة ، فالرأى الحر لا قيمة له فى تلك الشعوب ، و الحكومات فيها مصونة من كل نقد أو توجيه من شعوبها و افرادها ، أما الافراد و المواطنون فهم فى سياج حديدى شائك عن كل ما يحدث فى خارجه و ما يقال ، و الانسان فى هذا المجتمع الشيوعى انسان تابع لحكومته خاضع لها خضوع الآلة فى يد الصانع غير إن الانسان

يجوع فيأكل و الآلة لاتجوع و لا تأكل و كل ذلك لايمكن أن يتاتى من الانسان إلا بالقهر و الاجبار و الضغط و الكبت ، و هذا ما تعمل به جميع الدول الشيوعية .

أما الذين اتحدو الشيوعين اتحاداً سياسياً فكأنهم وقعوا فى وحل لا يمكن الفكاك منه و أن طال جهدهم و مثال ذلك ما وقع فى المجر التى اراد شعبها و دولتها السلوك على طريق مخالف لطريق حليفها روسيا ، فلم يكن من روسيا على ذلك إلا الضغط و الاجبار ثم الظلم و الارهاب ثم القتل و سفك الدماء حتى ذهب ضحية ذلك ثلثون ألف رجل فى مدينة واحدة ، و رجعت المجر إلى حليفتها جريحة كليمة ، هذه هى معاملة الشيوعين مع الاتحاديين معهم .

أما احترام الصداقات عند الشيوعين فانه تابع لآمالهم و أغراضهم يودون حقوقها ما دامت تتفق مع آمالهم و طموحهم و إن عارضت أو اختلفت فلا قيمة لها عندهم أبداً ، و لاتساوى فى نظرهم إلا العلاقات التى تقوم بين الاعداء و المتحاربين و إنه يمكن لهم معها أن يأتوا بكل عجيب ، و يسلكوا سياسة غريبة مدهشة .

و هذا هو الذى وقع فى شأن الهند ، فان الهند لم تظهر فيما قبل صداقة اعظم من صداقتها للصين الشيوعية ، كانت الهند ترى أن الصين الشيوعية احق بالاعتراف بها ، و التائيد لها ،و القيام بجانبها ، و أن حكومتها هى الحكومة الشرعية للبلدان الصينية و قد حاولت الهند لاقناع الشعوب و الدول العالمية الأخرى بهذه الحقيقة ، و اجتهدت لعضويتها فى جامعة الدول كل الاجتهاد إلى الآونة الأخيرة حتى حين هجوم الصين

على حدودها .

و كانت الهند تحرم نفسها من المعونات الخارجية الكثيرة التى كانت تصب من أميركا و حليفاتها على دول كثيرة عالمية لسبب واحد و هو صداقتها مع الدول الشيوعية و صداقتها مع الصين .

و بالغت الهند فى ذلك و اتفقت مع الصين و دول أخرى مما كانت على غرارها سياسة سلمية واحدة فى القضايا العالمية و اختارت طريق الانسجام السياسى مع الصين الشيوعية .

و سلكت الهند طريق الحذر الكامل من كل جفاء و نبو تجاه المجافاة و المغالظة الصارخة التى كانت الصين تبديها منذ سنوات .

أكان يجوز بعد كل ذلك أن تقوم الصين بشن الغارات على الحدود الهندية ، و أن لا تحاول فصم النزاع القائم بينها و بين الهند فصما سلمياً ، مع أن الصين تعرف أن الهند تريد دائماً حل جميع القضايا و النزاعات بطرق سلمية .

إنه لا يمكن أبداً أن نصف الصين الشيوعية بعد كل ذلك فى سلوكها هذه إلا بان الصداقات مع الشعوب و الدول لا قيمة لها عندها إلا مادامت تتفق مع آمالها و أهدافها .

و الذى أثبتته الصين الشيوعية بكل سلوكها هذا هو أن الشيوعية من أخطر ما يواجهه انسان العصر الحاضر فى جميع صورها و مظاهرها و هى حقيقة يجب أن لا تخفى على الشعوب الموالية و المحايدة جميعاً .

و مما يبعثنا على الاسف الشديد أن حكوماتنا العربية الاسلامية تتجاهل هذه الحقيقة الكبرى فى مجال السياسة العالمية ؟

محتويات العدد

ليتهم يفهمون	محمد الحسنى	١
الحضار الغربية كما يراها إقبال	للاستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى	٥
حضارة الكيلوواط	للاستاذ محمد قطب	١٣
وحدة لا أساس لها	سعيد الأعظمى الندوى	٢٢
الامام الصاغانى	للاستاذ أحمد حسن	٢٧
العدوان الصينى على الهند	للاستاذ محمد الرابع الندوى	٣٥

سيد محمد حسنى پرنٹر پبلشر نے ندوه پريس مين چهپوا كر ندوة العلماء لكهنؤ سے شائع كيا ،